Διεθνές Επιστημονικό Συνέδριο Ε' ΠΑΥΛΕΙΑ
«Ο απόστολος Παύλος και το φυσικό περιβάλλον».

Ιερά Μητρόπολη Βεροίας, Ναούσης και Καμπανίας
Βέροια (25-28 Ιουνίου 1999)

بولس الرسول والبيئة

الإرشمندريت بولس يازجي

عميد معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي – البلمند

ممثلاً صاحب الغبطة البطريرك إغناطيوس الرابع

Βέροια 1999

سيادة متروبوليت إيطاليا ممثل غبطة البطريرك المسكوني راعي هذا المؤتمر

السادة المطارنة ممثلي الكنائس الأورثوذكسية

سيادة متروبوليت فيريا الجزيل الاحترام

الأساتذة الكرام

السادة ممثلي الهيئات الرسمية والحكومية.

الأخوة المجتمعين الأحباء

يشرفني أن أحمل إليكم بفرحٍ بركات وأدعية صاحب الغبطة البطريرك إغناطيوس الرابع الكلي الطوب والجزيل الاحترام بطريرك إنطاكية وسائر المشرق. كما أنقل إليكم صلواته من أجل نجاح أعمال مؤتمركم.

إنَّ موضوع هذا المؤتمر من جهة، ومظاهر التعدّي المتزايدة على الطبيعة وعدم احترام البيئة وجمالها وصفائها من جهة ثانية، تدفعنا إلى التأمل معكم في هذهِ اللحظة في موضوع؛

سلطة الإنسان وحقوق البيئة.

من حيث المبدأ، إنَّ سلطة الإنسان على الطبيعة تعود إلى خلقه على صورة الله. الإنسان هو إله على الأرض كما أنَّ الله هو الإله على المنظورات وغير المنظورات.

إنَّ السلطة في الحق الروماني تمتد بحدود الاستخدام حتى مجالات الاستهلاك بحرية مطلقة تسمح حتى بسوء الاستخدام. لكن الكتاب المقدس يرى في سلطة الإنسان هذهِ امتداد لسلطة الله وهذا يعني أنَّ سلطة الإنسان تهدف إلى متابعة العمل الإلهي ذاته. الإنسان إذن هو كاهن الكون. من هذا المنظار، التعامل مع البيئة واستخدام الخيرات الطبيعية يخضعان إلى شروط وينحصران في حدود تحدِّدُها الغايةُ الأخيرة، وهي تحقيق التدبير الإلهي من أجل الإنسان.

إنَّ الرب يسوع، في كل العجائب، غصب الطبيعة، بمعنى أنَّه كَسَرَ أنظمتها المحددة، ما دامت العجيبة تتطلب اللاطبيعي. لكن في تجربة الشيطان له، في أن يرمي ذاته عن جناح الهيكل (دون حاجة تبرر ذلك) رفض يسوع أن يخرق النواميس الطبيعية. وهذا المثل يولِّد لنا تساؤلاً عميقاً حول المعنى الفعلي لخرق الطبيعة أو احترام نواميسها.

الطبيعة ليست قائمة ومستقلة بحد ذاتها أو ذاتية الحركة. ناموس الطبيعة ليس القوانين الطبيعية وإنما العناية الإلهية. إنَّ هذهِ العناية حددت وأوجدت تلك الأنظمة وهي في غايتها تستطيع استبدالها.

خرق وغصب الطبيعة، في الحقيقة، هو سوء استخدامها. وسوء الاستخدام، هو كل استخدام لا يساهم في تحقيق المخطط الإلهي الصالح من أجل الإنسان.

من الواضح إذن، أنَّه عندما يمارس الإنسان سلطته بشكلها السليم (على مثال الله) عندها يضمن للطبيعة حقوقها، أي مسيرتها إلى غايتها.

إنَّ اختيار هذا الموضوع عند الرسول بولس ناجحٌ جداً، وذلك أولاً لأنَّ بولس الرسول هو اللاهوتي العميق والشامل الأول في الكتاب المقدس.

وثانياً لأنَّ بين بولس الرسول والطبيعة والمحيط قصة خاصة وخبرات مميَّزة. لقد كانت الطبيعة أداة لمعرفة الله. بالنور وفقدان البصر، بهذهِ التبدلات الطبيعية توصَّل بولس إلى معرفة يسوع.

ألم تكن الطبيعة بالنسبة له أداة لمعرفة الذات أيضاً. لقد أكسبته من التواضع كماله ومن الإيمان ثباته. إنَّ الشوكة بالجسد جعلته يعتمد على نعمة الله التي في الناقصين تكمل. من يقرأ الفصول الأخيرة من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثس يستنتج بسهولة كيف ساهمت الخليقة المتنهدة والمتأوهة بعد السقوط، وذلك بالأثقال التي فرضتها على رسالته وعمله والعثرات التي رمتها في دربه، في تعزيز إيمانه.

البيئة أو المحيط، أو الخليقة، هي مكان للحوار بين الله والإنسان. الله الذي لا يعرف من جوهره نراه ونعرفه ونخاطبه من خلال نِعَمِهِ وأعماله. لهذا أية دراسة تتناول البيئة يجب أن تنطلق من هذا الأساس وأن تنظر إلى هذهِ الغاية: علاقة الإنسان بالله من خلال الطبيعة.

نستطيع إذن أن نخرق الأنظمة الطبيعية ولكننا يجب ألاَّ نتجاوز بأي شكل من الأشكال الناموس الحقيقي للطبيعة، أي مخطط العناية الإلهية من أجل الإنسان.

لا بدَّ، أنَّ هذا المؤتمر سوف يغنينا بمداخلات لاهوتية وعلمية من الأخصائيين في المجالات العلمية المختلفة، وإننا واثقون أنَّه سوف يوضِّح الموقف الأُورثوذكسي أكثر حول هذا الموضوع المعاصر وهذهِ المسألة الراهنة.

أكرر الأدعية الأبوية من صاحب الغبطة والتمنيات بالنجاح وتحقيق الأهداف التي يصبو إليها هذا المؤتمر. وكذلك أهديكم بركاته الرسولية، أولاً إلى صاحب السيادة متروبوليت فيريا الجزيل الاحترام وثانياً إلى سائر مساعديه ومعاونيه وخاصةً اللجنة العلمية المعاونة. راجيـــاً في الختام أعمالاً موفقة.